

"صيبةُ العين"

والصلاةُ لأجلِ حلِّها

المفاهيم الخاطئة للحسد

منذُ بدءِ الزمان، ارتبطَ الحسدُ مع ما نُسمِّيهِ اليومَ بـ «صيبةِ العين». اليوم، عندما نسمعُ كلمةَ «حسد»، يتبادرُ إلى ذهنِنا على الفورِ «صيبةُ العين» فقط، ولا شيءَ آخر. وهذا يعودُ إلى مفهومٍ قديمٍ واعتقادٍ خاطئٍ أنَّ الإنسانَ السيِّئَ يَقدِرُ بنظرِه فقط أنْ يؤذيَ الآخرَ الذي يحسدُهُ. هذا بالطبعِ ليسَ صحيحًا، وكنيستُنا لمْ تقبلْ بهذا الموقف. بالتأكيد، توجدُ في الكنيسةِ أفاشينُ (صلواتٌ) خاصَّةٌ بالعينِ الحاسدة. هذه الأمورُ تُفسَّرُ بكلِّ سهولة، ولكنْ يجبُ الانتباهُ لكيْ لا يُساءَ الفهم. عبارةُ «العينِ الحاسدة» تأتي من الكتابِ المقدَّس، وتعني الإنسانَ الحسودَ والسيِّئَ وعديمَ الرحمةِ والشفقة، فيما يوجدُ في المقابل «العينُ الجيِّدة»، وتعني الإنسانَ الجيِّدَ، والرحيمَ والمتوجِّعَ لأجلِ الآخرين. ولا ننسى أنَّه في اللغةِ اليونانيَّةِ القديمة العينُ «μάτι» تعني الوجه أو الهيئة « οψις» وفي الكتابِ المقدَّسِ عين «μάτι» ووجه «οψις» ومقلة «οφθαλμός» يقالُ لها ظهورُ الإنسان، وحضورُه، والإنسانُ كلُّه. في البداية، عندما يرى الإنسانُ الحسودُ فريستَه فيَحسدُها، هُنا يكمنُ جذرُ الشرِّ الذي يمكنُ أنْ يتبع. وبالتالي، هذه العينُ الحاسدةُ لا أحدَ يقبلُ بها. وقد اتَّسعَ معنى عبارةِ «العين الحاسدة» حتَّى طالتِ الناسَ الذين هم في قبضةِ الشيطانِ مُنشغلينَ بالسحرِ وضربِ المندلِ واستعمالِ العباراتِ السحريَّةِ وكلِّ ما يتعلَّقُ بها. هكذا إذًا، تتَّضحُ الأمور، كيفَ أنَّ الكنيسة، من جهة، لم تقبلْ بصيبةِ العين، ومن جهةٍ أُخرى، وضعتْ أفاشينَ ضدَّ الحسد. وهذا ليسَ فيه تضادٌّ، بل فصلٌ بينَ أمرَين مختلفَين.

بينما الذين يُناقضونَ أنفسَهم هم أولئكَ المدعوِّينَ مسيحيِّينَ، الذين تارةً يرسمونَ إشارةَ الصليب، وطورًا يُسارعونَ إلى السَّحَرةِ والمنجِّمين.

تعني الكنيسةُ بالحسَدِ الشرَّ والسوءَ الذين يعملُهما بعضُ المحرَّكينَ بالحسد، وهذا السوءُ يمكنُ أنْ يكونَ عملاً مؤذيًا أو نميمةً أو عارًا ما أو ربَّما تأثيرًا شيطانيًّا. الكنيسةُ لا تقبلُ أنَّ عينَ إنسانٍ بسيطةً تستطيعُ من مسافةٍ أنْ تُسبِّبَ بإحدى الطرقِ السِّحرِيَّةِ سوءًا للآخر. ليست مقبولةً عندَ أبناءِ الكنيسةِ المفاهيمُ الخاطئةُ والاعتقاداتُ الباطلةُ أنَّ أحدًا ما هو حسود، لمُجرَّدِ أنَّه وُلِدَ في يوم مُعيَّنٍ ولأنَّ في وجهِهِ بعضَ الملامحِ الخاصَّةِ، أو أنَّه هو بحدِّ ذاتِه قابلٌ للحسد، أيْ أنَّه يُصابُ بالعينِ بسهولة، وربما يشعرُ بالسوءِ وأنَّهُ ليسَ على ما يُرام، لأنَّ أحدًا ما أصابَه بسرعةٍ بالعين، وأفكارٌ أُخرى مماثلة.

لنْ نتطرَّقَ بالتالي إلى ما يُسمَّى «إبطالَ العينِ الحاسدة»، الذي يعملُهُ أناسٌ علمانيُّونَ (بواسطةِ بعضِ الأدعيةِ أو بحركةٍ يدويَّةٍ أو باستخدامِ مسبحةٍ، الخ...)، والتي تعلَّموها بالخبرةِ من آخرينَ وطبَّقُوها، ولا أحدَ يعرفُ «كيف» و«لماذا»، لأنَّ مصدرَ هذا الإبطالِ مظلمٌ وغامضٌ ولا تفسيرَ له. وليسَ له علاقةٌ بتعليمِ الكنيسةِ وهو بكلِّ وضوحٍ يتأتَّى من عباداتٍ وثنيَّةٍ شعبيَّةٍ قديمةٍ وممارساتٍ شائنة، لذلك، هو غيرُ مقبولٍ في أوساطِ المؤمنين. كلُّ هذهِ الممارساتِ هي إشاراتُ جهلٍ وعدمِ إيمانٍ وعبادةِ وثن.

تريدُ الكنيسةُ أنْ تُساعِدَ أعضاءَها، فتتصرَّفُ حيالَهم بكثيرٍ من التنازل. وقد جعلتْ في أفاشينِها كلَّ ما يتعلَّقُ بالحسد، ولكنَّها أعطَتْهم المعنى الصحيح. للأسفِ الشديد، مرَّاتٍ كثيرة، يُلاحَظُ أنَّ العاداتِ الشعبيَّةَ الخاطئةَ تُسيطر، وشيئًا فشيئًا، تفرضُ التغييرَ في تعاليمِنا الأرثوذكسيَّةِ الصافية، والدليلُ على ذلك، أنَّنا نقبلُ اعتقادًا ما ونتصرَّفُ بعكسِه.

تعتبرُ الكنيسةُ الحسد، بمعنى تأثيرِ السحرِ المفسِدِ بالنظرِ فقط (ومن الممكنِ في بعضِ المرَّاتِ أنْ يترافقَ معَ بعضِ الأقوالِ أو أفكارِ موتٍ باطنيَّةٍ أو حسد)، أقولُ تعتبرُهُ اعتقادًا باطلاً. لا ينكرُ آباءُ الكنيسةِ وكذلك الكُتَّابُ الكنسيُّونَ موضوعَ الحسدِ، أيْ الطاقاتِ المؤذيةِ التي تنبثقُ من الحسد. وبالطبع، وبشكلٍ خاصٍّ، الحالاتُ التي لم يعرفوا أصلَها كانوا يعزُونَها إلى تأثيرِ الشيطان. بالإجمال، يعتبرونَ الحسدَ من عملِ الشيطانِ وعملِ الحقد. لقد كتبَ القدِّيسُ باسيليوس قولاً «في الحقدِ والحسد». وقد وضعتِ الكنيسةُ صلاةً خاصَّةً ضدَّ الحسد.

كلُّ ما أوردناه وشرحناه حتَّى الآنَ يوضحُ موضوعَ الحسدِ ووجهةَ النظرِ الأرثوذكسيَّة. كما، اتَّضحتْ تعابيرُ مثلَ «الحسد في حالاتٍ محدَّدةٍ يُمكنُ أنْ يسبِّبَ الموت»، وهذا لا يعني أنَّ واحدًا يستطيعُ بنظرتِه أنْ

يقتُلَ آخرَ (هذا مفهومٌ غبيٌّ، وسِحرِيٌّ، ووثنيٌّ ومخالفٌ لمفهومِ المسيحيَّة)، لأنَّه، عندئذ، سيُقتلُ نصفُ سكَّانِ الأرضِ من دونِ حروبٍ ولا همجيَّةٍ أو أسلحةِ دمار. إنَّما المقصودُ هو أنَّ الذي يحسدُ ويكرَهُ أخاه الإنسانَ في بعضِ الحالات، يُمكنُه أنْ يصيبَهُ بأذًى جسديّ. على وجهِ العموم، يُحاولُ القاتلُ أنْ يبيدَ ضحيَّتَه أخلاقيًّا ونفسيًّا، لذلك، الحسودُ والقاتلُ بامتيازٍ هو الشيطان، ويُدعى أيضًا قاتلَ الإنسانِ ومبغضَه.

* * *

طرقُ حماية

كلُّ الناسِ الذين يَشعرونَ، هم أنفسُهم أو أحدٌ يخصُّهم، بتأثيرِ الحسد، عليهم أنْ يُسارعوا إلى الأبِ الروحيّ لكي يَرسمَ عليهم علامةَ الصليبِ بالصليب، الذي يمتلِكُ قوَّةً كبيرةً ضدَّ أرواحِ الشرّ، وأنْ يقرأَ لهم الصلاةَ الخاصَّةَ ضدَّ الحسد.

بعضُ الناسِ ابتكروا وسائلَ مختلفةً ضدَّ الحسد، مثلَ الحجاب، ليلبسَه كلُّ من يتعرَّضُ للحسد. وقد حاولتِ الكنيسةُ أنْ تحفظَ أولادَها من كلِّ ضلال، فمنعَتْ المسيحيّينَ من استخدامِ مثلَ هذه التعويذات (خرز، أوراق، زهور...)، لأنَّ كلَّ هذه تفترضُ مفهومًا سِحريًّا لعملِها وحمايتَها، وبالتالي هي ضدَّ كلِّ مفاهيمِنا المسيحيَّة. وكذلك منعتِ استخدامَ أقوالٍ استقساميَّةٍ من قِبلِ رجالٍ أو نساء، ضدَّ «صيبةِ العين»، لأنَّ كلَّ هذه الوسائلِ الشعبيَّةِ والمفاهيمِ الخاطئةِ هي نوعٌ من السحرِ والتضليل، مثلما ذكرَ القدِّيسُ نيقوذيموس الآثوسيّ في كتابِه «أخلاقُ المسيحيِّينَ الحميدة». كلُّ طريقةٍ لا تمتُّ بصلةٍ إلى صلواتِ الكنيسة، تُشكِّلُ نكرانًا للإيمان، وأيَّةُ معالجةٍ أُخرى تُبعِدُ نعمةَ الروحِ القدسِ عن الإنسان، وتتركُهُ ضعيفًا أمامَ طرقِ الشيطان. كلُّ من يستخدمُ أقوالاً لا معنى لها، والحجابَ والتعويذة، إمَّا لنفسِه وإمَّا لأشخاصٍ يخصُّونَه، يجبُ أنْ يعرفَ أنَّه بهذهِ الطريقةِ يلوِّثُ معموديَّتَه، ويُظهِرُ عدمَ إيمانٍ وجحودًا نحوَ اللّه، وبالتالي بدلَ أنْ يحميَ نفسَهُ من السوء، يُسلِمُ نفسَه لنفوذِ مُبغضِ البشر.

بكلِّ تأكيدٍ، يوجدُ حجابُ الكنيسة، ويستطيعُ، لا بل يجبُ على كلِّ مؤمنٍ أنْ يرتديَه. الحجابُ الفعَّالُ جدًّا هو الصليب، الذي على كلِّ إنسانٍ مسيحيٍّ مؤمنٍ أنْ يلبسَه، لأنَّ الشياطينَ تخافُ من قوَّته، فهو حافظُ كلِّ المسكونة. كما توجدُ وسائلُ إيمانيَّةٌ أُخرى، وبواسطتِها نستدعي قوَّةَ اللّه العليّ، ونستطيعُ أنْ نتجنَّبَ كلَّ سوء. ولكنْ، ليكنْ معلومًا عندَ جميعِنا أنَّ أيَّةَ وسيلةٍ من وسائلِ كنيستِنا المقدَّسةِ لا تُفيدُنا من دونِ الإيمانِ الذي هو أمرٌ ضروريٌّ يُفترضُ أنْ نملكَه. يجبُ أنْ يكونَ إيمانُنا ثابتًا وغيرَ متغيِّرٍ ومن دونِ أدنى شكٍّ بسيِّدِنا يسوعَ المسيحِ وتعليمِه. وهذا الإيمانُ يُعبَّرُ عنه بالأعمال، التي هي الإيمانُ بأقوالِ الكتابِ

المقدَّسِ الملهمِ بها من اللّه، وأنْ نسلُكَ بحسبِ وصايا اللّهِ في حياتِنا ونطبِّقَها بدقَّةٍ، وأنْ نرتادَ الكنيسةَ دومًا دونَ انقطاعٍ، ونُصلِّيَ صلاةً حارَّة، ونعترفَ باستمرارٍ ونتناول. إذَّاك، لا يستطيعُ أنْ يؤذيَنا لا سوءٌ ولا حسدٌ ولا حتَّى أيَّةُ مكيدة، وعلى الأخصِّ، لا يستطيعُ أن يُبعدَنا عن إيمانِنا ولا عن خلاصِ نفوسِنا. فنحنُ، بالصلاة، نتواصلُ مع اللّه، وبالاعترافِ نتحرَّرُ من خطايانا، التي تُشكِّلُ عبئًا على نفوسِنا وحائطًا يُعيقُ نعمةَ اللّهِ أنْ تُقدِّسَنا وتَحميَنا. بالمناولةِ الإلهيَّةِ نتَّحدُ مع اللّه نفسِهِ ونصبحُ آلهةً بالنعمة.

هذه هي الوسائلُ الأساسيَّةُ والمقدَّسةُ والحجابُ الذي تُقدِّمُه، بكثيرٍ من المحبَّة، كنيستُنا الأمُّ لكلِّ واحدٍ من أولادِها ولكلِّ عضوٍ مؤمن. من هذه ننطلقُ، وبواسطة نصائحِ أبينا الروحيِّ يجبُ أنْ نستخدمَ كلَّ البقيَّةِ الباقية، علامةَ الصليبِ وصلواتِ الكاهنِ وخدمةَ تقديسِ المياهِ الصغيرةِ والكبيرة. حذارِ، إذًا من أيِّ شيءٍ لا علاقةَ له بوسائلِنا الكنسيَّةِ المقدَّسة. حذارِ من التعويذاتِ ومن المتحذلقينَ الذين يجلبونَها ويعرضونَها على أنَّها من الكنيسة. إذْ بهذه الطريقةِ يضحكونَ على البسطاء، ويستغلُّونَ الشعورَ الدينيَّ وعدمَ أمانَةِ الكثيرين، بهدفِ تدنيسِ الإيمانِ واقتناءِ الغنى بطريقةٍ سهلةٍ جدًّا.

ب.س.فاسيلوبولُس

مختارات من كتابِ «الحسد في حياتِنا»

منشورات «أبوكاليبسيس» ٢٠٠٣